

أسباب الحروب الصليبية

د. عبد الرحمن حسب الله *

تعتبر الحروب الصليبية من أخطر الحروب التي شهدتها العالم العربي الإسلامي في العصور الوسطى في الفترة من ٤٨٩هـ إلى ٦٩٢هـ ومن ١٠٥٩م إلى ١٢٩١م.. وقد تمخضت عن هذه الحروب نتائج عظيمة أثرت في مجرى التاريخ وصبغت الفترة كلها بطابع خاص ميزها عن غيرها من العصور التاريخية، والحملات الصليبية لم تقف عن العالم الإسلامي العربي إلى اليوم وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدنى الله هو الهدى ولن أتبعن أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مآلك من الله من ولى ولا نصير﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٠).

ومعلوم أن الصراع والمواجهة بين المسلمين والمسيحيين بدأ منذ بدء الدعوة الإسلامية في القرن السابع الميلادى، فقد أدى رفض المسيحيين الاعتراف بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم إلى وقوع الصراع والصدام، وسبب هذا الرفض موقف الدين الإسلامى أو القرآن من بعض المعتقدات المسيحية التى لا تتهاون فيها اللاهوتية وترفض أي تراجع عنها. ومن ذلك موقف الإسلام من السيد المسيح، فالإسلام يرى فى المسيح عبداً لله ورسولاً من رسله ليس ابناً لله كما تدعى اللاهوتية المسيحية قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ (المائدة ٧٢). وقوله: ﴿لقد كفر الذين قالوا بأن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم﴾ (المائدة ٧٣). وقوله: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ (المائدة ٧٤).

وقوله: ﴿ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا

* أستاذ مشارك كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية

يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنس يؤفكون﴾ (سورة المائدة من الآية ٧٢ - ٧٥) .

ثم يأتى موقف الإسلام عن النبي ﷺ، بأنه خاتم الأنبياء أى نهاية التاريخ النبوى لا نبي بعده.. قال تعالى: ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٤٠) .
وأخيراً من أسباب العداء توجه الإسلام باعتباره الدين الوحيد المكلف به الناس جميعاً يوجب اتباعه والإيمان به، قال تعالى: ﴿و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة آل عمران الآية ٨٥) .

فهذه المواقف الإسلامية أزعجت الكنيسة فأخذ رجال الدين المسيحي وعلى رأسهم البابا يقاومون الدين الإسلامى، وأعتبروا محمداً الذى أخذ على عاتقه تجديد وإتمام دين إبراهيم غير ثابت النبوة يريد القضاء على التعاليم اليهودية والنصرانية، فكان الصراع بين المسلمين والمسيحيين، وهناك معارك مشهورة دارت بين الفريقين قبل الحروب الصليبية منها على سبيل المثال، موقعة مؤتة - وموقعة تبوك - ثم حملات الشواتى والصوافى التى بدأت من أيام الخلافة الأموية، ولم تنقطع صيفاً ولا شتاءً مع البيزنطيين الذين رفعوا شعار محاربة الإسلام والمسلمين والقضاء عليهما، وأيضاً موقعة الزلاقة فى الأندلس - وأخيراً موقعة ملاذكرد بين السلاجقة والبيزنطيين فى آسيا الصغرى، وكانت هذه الموقعة من أعظم المواقع التى وقعت بين المسلمين والمسيحيين ولها أثر كبير فى قيام الحروب الصليبية.

وقبل أن نوضح الأسباب الرئيسية التى دفعت هؤلاء الصليبيين لغزو العالم الإسلامى نشير إلى الأوضاع فى أوروبا الغربية قبيل الحروب الصليبية، ثم نتبعها بالحديث عن الأوضاع فى العالم الإسلامى، ذلك يساعدنا فى التعرف على البواعث الحقيقية لهذا الغزو الصليبي.

أوروبا قبيل الحروب الصليبية:

تسربت الديانة المسيحية إلى أوروبا منذ وقت مبكر وفى سنة ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م اتخذت الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية ديانة رسمية للدولة وذلك فى عهد الإمبراطور ثيوديسيوس^(١)، ثم فى سنة ٧٩٨ هـ - ١٣٩٥ م انقسمت الإمبراطورية

الرومانية إلى قسمين شرقي وغربي وكان التقسيم بين ولدي ثيودسيوس الذي توفي ٧٩٨هـ - ١٣٩٥م، فكان القسم الشرقي من نصيب ابنه أركديوس والذي أخذ القسطنطينية عاصمة له، والغرب لابنه هونوريوس الذي أخذ روما عاصمة له (٢).

ثم اختلف المسيحيون في تحديد علاقة المسيح (الابن) بالإله (الأب) وأنحازت الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى الفئة التي تقول إن المسيح الابن مساوي للإله الاب تماماً في كل شيء، وهؤلاء عرفوا بالكاثوليك وعرف زعيمهم بالباشا ومقره روما. وقد انحازت الإمبراطورية الشرقية إلى المجموعة التي تقول إن المسيح الابن مخلوق للإله الأب فهو أقل منه لا يعادل الابن الإله الاب، وهؤلاء عرفوا بالأرثوذكس وزعيمهم عرف بالبطريرك ومقره القسطنطينية (٣).

استمر هذا الخلاف بين الإمبراطوريتين حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على أيدي الجرمان سنة ٨٨١هـ - سنة ١٤٧٦م (٤)، وبعد سقوطها دخلت أوروبا الغربية في فترة أطلق عليها بعض المؤرخين العصور المظلمة، لأن هؤلاء الجرمان الذين غزوا المنطقة كانوا جماعات متبربرة لا حضارة لهم، وقد استمرت تسيطر على أوروبا الغربية حتى القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي، وفي هذه الفترة تأخرت أوروبا تأخراً واضحاً شمل كل مجالات الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وخير مثال نضربه لذلك هو النظام الاجتماعي فقد كان متأخراً جداً وسيئاً بسبب نظام الإقطاع الذي شمل كل أوروبا الغربية في هذه الفترة، وهذا النظام دخل أوروبا الغربية مع القبائل الجرمانية الغازية وقد تركت هذه القبائل أثراً اجتماعية سيئة في غرب أوروبا، منها أن النظام الإقطاعي كان يقضي بتوريث الإقطاعية بعد وفاة الإقطاعي الأب الأكبر دون بقية إخوته فنتج عن ذلك وجود طائفة كبيرة من أبناء الإقطاعيين معدمين بسبب حرمانهم من حقهم في ميراث آبائهم المتوفين، ثم نتج عن ذلك أن سعى هؤلاء المحرمون نحو البحث عن الثراء والامتلاك عن طريق الهجرة إلى أماكن جديدة فكانت الحروب بين الإقطاعيات، ونتج أيضاً عن هذه الحروب ظهور فئة من الأبطال الشجعان الذين احترفوا الحروب وقد ظهرت بصورة مزعجة لأن الإقطاعيين لا جيوش لهم، فكانوا يشعلون الحروب في مناطق عديدة حتى يظهروا شجاعتهم وقوتهم، وكانت حياة

السلم تعنى عندهم البطالة (٥).

تمخض عن هذا الوضع تعطل الزراعة، فكانت المجاعات في أوروبا الغربية، ثم ظهرت أنواع من الأوبئة والأمراض بسبب الجوع، فهذه هي حالة أوروبا الغربية اجتماعياً قبيل الحروب الصليبية.

أما الحالة الدينية فقد كانت أسوأ من الأوضاع الاجتماعية إذ لم تستطع الكنيسة الغربية رغم أنها لم تمس القبائل الجرمانية الغازية بسوء، لم تستطع الإسهام بأى جهد في سبيل تغيير الأوضاع الاجتماعية السيئة التي سادت أوروبا الغربية من جراء الغزو الجرمانى، لأن الكنيسة نفسها تعرضت لموجة جارفة من الانحلال والذبول قبيل الحروب الصليبية، فقد جرف التيار الإقطاعى رجال الكاثوليك نحو السلطان والطمع فى الدنيا، فتصدع سلطان البابوية وأنحط المستوى الخلقى لرجال الكنيسة حتى صارت وظائف الكنيسة تشتترى بالمال، فقرتب على ذلك أن توصل كثير من الفاشلين وغير الصالحين إلى المناصب الدينية الكبرى عن طريق المال، وهكذا ضعفت الكنيسة وتشوهت سمعتها.

وكذلك من المشاكل التي واجهت الكنيسة فى هذه الفترة اختيار رجال الكنيسة، فقد صار أصحاب الأراضي من الإقطاعيين يقومون بتعيين القساوسة فى حين تولى الأباطرة والملوك والدوقات تعيين الأساقفة، فكان يكفى الإقطاعى أن يعطى خاتمه أو عصاه لأحد الأفراد ويقول له تسلم أسقفية كذا فيعتبر مسئولاً عن تلك الأسقفية. وخسرت الكنيسة من هذا الوضع خسارة كبيرة مما أدى إلى تفككها وعدم ارتباطها تحت زعامة البابا، فنتج عن ذلك الصراع بين الكنيسة والحكام فالكنيسة تريد من رجالها أن يخضعوا لها وحدها فينصرفون لخدمة وظائفهم الدينية والحكام والملوك يريدون السيطرة على رجال الدين ويتحكمون فى تعيينهم، وهكذا تطور الصراع بسبب تدخل الملوك والأمراء الإقطاعيين فى اختيار البابوات (٦).

هذه حالة أوروبا الغربية قبيل الحروب الصليبية، وضع اجتماعى ودينى سيئ، ولكن قبيل الحروب الصليبية وفى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى بدأت هذه الأوضاع السيئة تزول وتتكشف، وقد أطلق المؤرخون على هذه الفترة وهذه الصحوة فترة النهضة الأوروبية، وهذه النهضة مست جميع أركان الحياة فى غرب

أوروبا وخاصة في المجال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وكل ذلك بفضل اتصالهم وتعرفهم بالحضارة الإسلامية التي انتشرت وازدهرت في مراكز كثيرة منها بغداد والقيروان وقرطبة والقاهرة، فقد ترجموا الحضارة الإسلامية من الكتب العربية وأخذوها إلى أوطانهم.

يقول المستشرق جب^(٧)، «إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرها».

أما في مجال الفلسفة فقال ترند^(٨): «إن أعظم ما خلقه المسلمون للفكر الأوربي هو أعمال فلاسفتهم»، ومن هؤلاء الفلاسفة المسلمين الفارابي والكندي وابن سينا، ويلاحظ أن الأثر الفلسفي إنتقل إلى أوروبا عن طريق الأندلس فقد أشرف ريموند أسقف طليطلة على ترجمة أعمال الفارابي وابن سينا والغزالي وغيرهم من فلاسفة المسلمين المشهورين من اللغة العربية^(٩).

أما أثر فلسفة ابن رشد في أوروبا فواضح إذ ساعدت تلك الفلسفة على خروج الكثير من الأوربيين على تعاليم الكنيسة وتمسكهم بمبدأ حرية الفكر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة^(١٠).

وهكذا كان للمسلمين الأثر الكبير في تقدم أوروبا وفي شتى المجالات الرياضية، والفلك، والجغرافيا، والطبيعة، والطب، والصيدلة والفنون، والموسيقى، حتى أن الجامعات في غرب أوروبا فتحت تأثراً بالمسلمين.

أما الكنيسة فقد شهدت حركة إصلاح وأخيراً نجحت في حل مشاكلها التي إنتشرت بسبب النظام الاقطاعي في غرب أوروبا، فقد دعا البابا نيقولا الثاني إلى عقد مجمع ديني في روما سنة ١٠٥١هـ، ١٠٥٩م لتنظيم اختيار البابا وإنقاذ البابوية من الهوة التي غرقت فيها^(١١).

وقرر هذا المجمع أن يتولى الكرادلة^(١٢)، وحدهم انتخاب البابا على أن يستدعي الناس لمجرد الموافقة على هذا الاختيار، كما قرروا ضرورة اختيار البابا من بين رجال الكليروس في أوروبا نفسها^(١٣).

وهكذا بدأت أوروبا الغربية تخرج من عصر الظلام إلى عصر النهضة في الوقت الذي بدأت الدولة الإسلامية القوية تتفكك وتضعف.

الأوضاع فى العالم الإسلامى قبيل الحروب الصليبية:

كانت الخلافة العباسية هى صاحبة السيادة والحكم على المسلمين بعد الدولة الأموية ١٣٢ هـ، ٧٤٩ م^(١٤)، ولم تسقط هذه الخلافة إلا فى سنة ٦٥٦ هـ، ١٢٥٨ م^(١٥)، على أيدي المغول والتتر، فالغزو الصليبي قد وقع فى أيام هذه الخلافة.

لم تستطع الخلافة العباسية الحفاظ على وحدة المسلمين خلال فترة خلافتها السابقة، فإن عصر الإنحلال والتدهور بدأ منذ القرن الثالث الهجرى - التاسع الميلادى بثورات انفصالية اعتمدت على حركات مذهبية وسياسية مزقت الدولة الإسلامية الموحدة إلى عدة دويلات إلى جانب الخلافة العباسية، تستوى فى ذلك جميع أقاليم الدولة العباسية سواء كانت فى المشرق أو المغرب^(١٦). وهذه الدويلات تختلف من حيث ظروف نشأتها وعوامل تكوينها إلا أنها تتفق فى كونها غدت بمجموعها ظاهرة فى المجتمع الإسلامى غير موجودة فى السابق.

ويعود سبب هذا التفكك إلى ضعف الخلافة العباسية، فقد بدأت الخلافة العباسية قوية حتى نهاية عصر المعتصم بالله الذى توفى سنة ٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م^(١٧). وبعده أخذت الخلافة العباسية تتجه نحو الضعف والتفكك، والذى أدى إلى ذلك الانهيار الاقتصادى ثم سيطرة العناصر غير العربية على السلطة بجانب الخلفاء المحرومين منها، وأهم هذه العناصر الأتراك وظهر نفوذهم من أيام المعتصم الذى اعتمد عليهم إعتقاداً كلياً فى الجيش وأسقط العرب من ديوان العطاء، وأهمل الفرس^(١٨).

ثم جاء بعد الأتراك البويهيون من سنة ٣٢٤ هـ - ٩٤٥ م أيام الخليفة العباسى المطيع^(١٩). واستمروا حتى سنة ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م بدخول السلاجقة بغداد فى موكب كبير وقضوا على سلطة البويهيين^(٢٠).

فكل هذه التغيرات تدل على ضعف القوة المركزية، ولاشك أن الضعف يساعد على إقامة كيانات سياسية منفصلة، حتى نجد أن الدولتين البويهية والسلجوقية نجحتا فى فرض سيطرتهم المباشرة على الخلفاء العباسيين.

وهناك أسباب أخرى ساعدت على هذا التفكك منها اتساع العالم الإسلامى، والانتساع ليس عامل ضعف عندما تكون الخلافة قوية والخليفة يستطيع أن يختار ولاية أقاليمه وفق معيار القوة والأمانة، ولكن عندما يضعف الخليفة وتختل معايير

إختيار الولاة فيصبح من الصعب سيطرة القوة المركزية على دولة واسعة مثل الدولة العباسية.

ومن الأسباب أيضاً ظهور العصبية العرقية. حيث ضم العالم الإسلامى فى العصر العباسى جنسيات كثيرة إلى جانب العرب والفرس، ففي المشرق الإسلامى يوجد الأتراك والديلمة وفى المغرب البربر والصقالبة، وقضى الإسلام على العنصرية والفوارق وأعلنها بوضوح أن الناس سواسية لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات الآية ١٢)، فكانت الرابطة الدينية هى التى تربط بين المسلمين ولكن عندما ضعفت الرابطة الدينية وبرزت على السطح التناقضات العرقية وتولى تحريكها والدعوة إليها فئة من الشعوبيين ممن ظلوا على حقدهم وكرهيتهم للإسلام، وذلك عندما عجزوا عن مواجهة الدين فى ميدان الحرب لجأوا إلى أحياء العنصريات والعرقية ليفتتوا الوحدة الإسلامية، فوجد البربر فى شمال إفريقيا متنفساً فى الدويلات التى قامت فى المغرب والأندلس، وكذلك الحال فى المشرق وصدق قول الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية ٤٦).

ولاشك أن للعصبية أثراً عظيماً ودوراً كبيراً فى تفكك وحدة الأمة الإسلامية، وقد دعا الإسلام إلى الوحدة فى قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران الآية ١٠٢).

ولعل من الأسباب التى ساعدت على تفكك العالم الإسلامى تناقض المذاهب والاتجاهات السياسية، حدد الإسلام شخصية المسلم بالانتماء للإسلام وتعاليم الإسلام دون الالتفات إلى أى أمر آخر، ولكن ظهرت النزعات العرقية ثم ظهرت المذاهب ذات الصبغة السياسية مثل الخوارج والشيعة إلى جانب أهل السنة، وكانت هذه المذاهب متناقضة فيما بينها بدرجة متفاوتة، وقد حاول أتباع كل مذهب أن تكون لهم الغلبة، فعمدوا إلى تجنيد الأنصار والمؤيدين وتصارعت الأفكار بين المذاهب، ثم انتقل الصراع إلى الميدان العملى وإقامة الكيانات السياسية الخاصة، ولاشك أن هذه الكيانات تقوم وتزدهر على حساب الدولة الأم (الخلافة العباسية)، ونتاج هذا التفكك ضعفت هيئة الخلافة العباسية فى النفوس فأصبح أخيراً فى العالم الإسلامى ثلاث

خلافت كل منها تدعى قيادة العالم الإسلامى، الخلافة العباسية فى بغداد، والفاطمية فى القاهرة، والأموية فى الأندلس، وكل منهن أضعف من الأخرى. والنتيجة الحتمية لهذا التفكك أن صارت الأمة الإسلامية مطمعا للطامعين فى الاستيلاء على أرضها والقضاء على دينها. كل هذه المظاهر السابقة تصور أن الدولة الإسلامية التى أمتدت فى قارات الأرض المعمورة أوشكت على الزوال والاضمحلال. وإستمر الحال فى الخلافة العباسية حتى دخول السلاجقة عام ٤٤٧هـ - ١٠٥٥م، وذلك عندما استنجد الخليفة العباسى بطغرل بك السلجوقى لينقذه من تسلط البويهيين الشيعة على الأمور^(٢١)، وكذلك من أخطار الدولة الفاطمية التى وصل نفوذها حتى بلاد الشام ومشارف العراق، فقد إستطاع السلاجقة درء الخطر الفاطمى وذلك بالقضاء على حركة البساسيرى^(٢٢)، فى سنة ٤٤٩هـ - ١٠٥٧م والذى كان قد تمكن من إعلان الخلافة الفاطمية فى بغداد وأستمرت سنة كاملة حتى طرده السلاجقة^(٢٣).

وأستطاع السلاجقة السيطرة التامة على بغداد، ثم بدأوا فى توسيع نفوذهم حتى أستولوا على الأراضى الإسلامية فى أسيا، وبدأت الخلافة العباسية تعود لقوتها وسطوتها وبدأت جيوشها تجاهد.

والذى يعنينا من هؤلاء السلاجقة علاقتهم بالدولة البيزنطية وكيف كان جهادهم فى هذه الجهة سبباً من أسباب الحروب الصليبية .

تولى أمور السلطنة بعد طغرل بك البارسلان وحكمه من سنة ٤٤٥هـ إلى ٤٦٥هـ ومن سنة ١٠٦٣ إلى ١٠٧٢م^(٢٤). حمل البارسلان لواء الجهاد ضد البيزنطيين واتجه صوب الأقاليم المسيحية المجاورة لدولته، وكان أهلها يكثر من الغارة على أطراف الدولة الإسلامية حتى أصبحوا مصدر قلق لسكان المنطقة من المسلمين، فأراد السلطان البارسلان وضع حد لغاراتهم من ناحية والحد من نفوذ البيزنطيين فى أسيا الصغرى من ناحية ثانية^(٢٥) .

وفى فترة وجيزة وقصيرة نجح البارسلان فى الاستيلاء على الجزء الأكبر من البلاد الواقعة بين بحيرة وأن وأرومية وفتح جورجيا، وبلاد الأرمن، وبسقوط مدينة

وأن عاصمة أرمينية أنفتح الطريق أمام القوات السلجوقية لتهاجم الدولة البيزنطية^(٢٦).

من أهم المعارك التي دارت بين البيزنطيين والسلجقة معركة ملاذكرد أو مانزكرت^(٢٧) التي دارت في سنة ٤٦٣ هـ الموافق ١٠٧١ م^(٢٨).

وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارا كبيرا على البيزنطيين ووقع الإمبراطور البيزنطي رومانوس نفسه أسيرا في يد السلجقة كما فقد الألوف من جنوده، وأمتد النفوذ السلجوقي حتى بحر مرمرة^(٢٩).

تعد معركة ملاذكرد من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي نتج عنها، نتائج سياسية وحربية خطيرة من أهمها أنها صرفت أنظار البيزنطيين نهائيا عن آسيا الصغرى^(٣٠). كما مهدت الطريق أمام جيوش المسلمين للتوغل في آسيا الصغرى حتى نجحوا في أخذ معظمها من البيزنطيين^(٣١).

ومن أهم نتائج معركة ملاذكرد قيام الحروب الصليبية ضد المسلمين لأن أخبار هزيمة البيزنطيين أثارت مخاوف الدول الأوربية، لأنها تعتبر الدولة البيزنطية الحصن الأمامي الذي يحمي أوروبا من خطر الشرق الإسلامي. ومن ثم يجب على الغرب الأوربي كله مد القسطنطينية بالمساعدة لدرء هذا الخطر الإسلامي^(٣٢). وبمعنى آخر إن انحسار النفوذ البيزنطي عن آسيا الصغرى أدى إلى تدخل دول أوروبا الغربية لحماية مصالحها.

وبعد وفاة ملك شاه السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ الموافق سنة ١٠٩٢ م إنتهى عصر السلجقة العظام، ويبدأ عصر الأتابكيات^(٣٣) السلجوقية وقد أخذت هذه الأتابكيات تقوم بالدور الرئيسي، وصار السلاطين السلجقة أدوات في أيديهم ينفذون أوامرهم. وهكذا عادت الخلافة العباسية إلى التفكك والضعف مرة ثانية في الوقت الذي بدأت أوروبا توحد جهودها بالقضاء على فوضى الإقطاع والكنيسة، كما نجحت أيضا في القضاء على مشاكلها ثم اتجهت أوروبا الغربية كلها-صوب الشرق الإسلامي لتبسط سلطانها على المسلمين والاستيلاء على خيراتهم والقضاء على دينهم وذلك عندما أحست بضعفهم وتفككهم.

أسباب الحروب الصليبية :

من هذا التمهيد يمكن أن نبدا تلمس الأسباب التي دفعت هؤلاء الأوربيين إلى غزو العالم الإسلامي :

إنبعثت الحركة الصليبية من الغرب الأوربي المسيحي في العصور الوسطى واتخذت شكل غزو حربي استعماري على بلاد المسلمين، خاصة الجزء الغربي بقصد امتلاكها والقضاء على الإسلام، فهذه الحركة الصليبية حركتها بواعث حقيقية وأسباب قوية انبعثت من صميم المجتمع الأوربي الغربي في هذه الفترة، ونحاول بإيجاز توضيح هذه البواعث التي أدت إلى غزوهم .

الباعث الديني:

فتح المسلمون بيت المقدس في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، تم للمسلمين بعد الفتح السيادة التامة على بيت المقدس بعد توقيع وثيقة الأمان على أهلها وبطارقتها، ومن أهم بنود وثيقة الأمان خروج الروم من القدس وحماية المسلمين لنصارى القدس ومقدساتهم^(٢٤) واستمرت العلاقات بعد توقيع الوثيقة بين المسلمين والنصارى طيبة إلى أيام الخليفة هارون الرشيد العباسي، فقويت العلاقات حتى أعطى هارون الرشيد مفاتيح بيت المقدس لشرلمان ملك الفرنجة رمزا للصدقة^(٢٥).

ظلت فلسطين وبيت المقدس بيد المسلمين بهذا الوضع الطيب، ولكن هذا الوضع لم يرض بعض النصارى بل كان يثير مشاعرهم ويشعرون بالحسرة لوجود هذه الأماكن المقدسة في أيدي المسلمين، وكان بعض زوار القدس من غرب أوروبا عندما يرجعون إلى بلادهم يثيرون كثيرا من الادعاءات الكاذبة ويصورون لإخوانهم أنهم يلاقون ألوانا من الذل والهوان من المسلمين، كما بالغوا في تصوير كل ذلك حتى يثيروا حماس إخوانهم النصارى ضد المسلمين فيسعون إلى تخليص تلك الأماكن المقدسة منهم، يشير الكثيرون من المؤرخين وخاصة غير المسلمين أن استياء المسيحيين من حكم المسلمين للأراضي المقدسة ومن معاملتهم للحجاج الأوربيين بدأ بعد استيلاء السلاجقة على الأراضي المقدسة، هؤلاء يرون أن السلاجقة كانوا أقل تسامحا ممن سبقوهم من حكام المسلمين^(٢٦).

إن ظهور السلاجقة السنيين وحربهم للبيزنطيين وهزيمتهم وكسر شوكتهم

والاستيلاء على جزء كبير من أراضيهم في آسيا الصغرى حتى أصبحوا يهددون الدولة البيزنطية، ودخول عاصمتهم القسطنطينية، هذا الوضع الجديد وهذا التهديد الكبير دفع الأمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين الرابع للاستنجاد بالبابا أوربان الثانى ملتصقا وقوفه بجانبه ضد المسلمين.

واستجاب البابا لطلب الأمبراطور البيزنطى فوراً، لأنه رأى فى الاستجابة مصلحة وفرصة كبيرة لتوحيد الكنيستين الغربية والشرقية اللتين انفصلتا فى وقت سابق. وكان من أهداف البابا أيضاً القضاء على المسلمين والإسلام حتى لا يغزون أوربا. فقد حاول المسلمون دخول أوربا من وقت مبكر عن طريق المشرق عن طريق القسطنطينية من أيام الدولة الأموية ثم طريق الأندلس بعد فتحها، وكان المسلمون متجهين نحو قلب أوربا متخذين البحر المتوسط طريقاً، وهذه الحركة عبارة عن حركة شبيهة بما يسمى اليوم بحركة الكماشة.

فلا شك أن أوربا الغربية كانت تخاف من الإسلام والمسلمين والبابوية لا يرضيها أن ترى الأماكن المقدسة تحت سيطرة المسلمين، فلا بد من أن يحكم بيت المقدس كنيسة عالمية خالصة^(٣٧). وكل هذه الأسباب دفعت البابا لإعلان العداء ضد المسلمين، ثم بدأت تنتهز كل الوسائل لتقليم أظافر المسلمين والغلب عليهم. لحماية أوربا الغربية من الإسلام الذى ظهر كقوة كبرى تهدد أوربا فى حوض البحر المتوسط^(٣٨).

كانت أوضاع العالم الإسلامى قبيل الحروب الصليبية سيئة، وبدأت الكماشة التى فرضها المسلمون على الأوربيين تتفكك، فالأندلس تدهورت الأوضاع فيها بسبب سقوط الخلافة الأموية وقيام ملوك الطوائف، ثم تبع ذلك جرائم متتالية نزلت على المسلمين من نصارى الشمال فى الأندلس.

كل هذه الأوضاع السيئة شجعت المسيحيين وعلى رأسهم البابا أن يقوموا بضربة قوية ضد المسلمين من جهة الشرق ليقضوا ويدمروا المسلمين والإسلام، والعداء النصرانى للإسلام عداء عقائدى والصراع بينهما صراع بين الحق والباطل.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (سورة البقرة الآية ٢١٧). وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٠).

فهذه الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية شجعت أوروبا، والبابا خاصة في إثارة السذج من المسيحيين في غرب أوروبا ضد المسلمين حتى يقضوا على الإسلام الذي مثل خلال فترة طويلة من الزمن إشارة الخطر ضد المسيحيين الأوربيين، لهذا كله عقد البابا مؤتمراً عظيماً في كليرمونت^(٣٩). وألقى في المؤتمر خطاباً ضافياً ألهب فيه حماس الحاضرين والسذج بتخيل ما ليس في الواقع، فحرك أوتار التعصب الديني فيهم وتصوير أنواع المأسى في الشبام ضد الحجاج النصارى وما يلاقونه من ألوان الذل والمهانة على أيدي المسلمين، وكل ذلك كان كذباً وهو يعلم جيداً أن دين المسلمين لا يسمح بذلك ولا يجبر الناس على ترك معتقداتهم^(٤٠).

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة آل عمران الآية ٢٠).

بعد خطاب البابا السابق أخذ دعاة الحروب الصليبية يطوفون أوروبا الغربية يحرضون الناس وكان على رأس هؤلاء جميعاً بطرس الناسك^(٤١)، الذي استطاع أن يؤثر تأثيراً كبيراً على الناس.

وأيضاً وضع من الدراسات الحديثة التي تناولت أحداث الحروب الصليبية^(٤٢). أن جماعات الرهبان المسيحيين حرضوا أيضاً على الحروب الصليبية ودعموا الحرب بالمال وذلك بعد مائة سنة على قيام أول حملة صليبية، وأشهر هذه الجماعات الرهبانية أخويتان، الفرنسييسكان، والدومنيكان اللتان أسسهما فرانسيس الاسيس ودومنيك غوزمان، وذلك في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ففي بداية عام ١٢٢٠م - ٦٢٨هـ كلفت البابويه أخويه الفرنسييسكان بالتبشير للجهود الصليبية في مناطق الشمال الغربي من بحر البلطيق، ثم كلفت البابوية الأخويتين بالعمل لصالح الحملات الصليبية باتجاه الأراضي المقدسة، والسبب في اختيار البابا للأخويتين على حساب الكهنوت الكنسي التقليدي يكمن في حاجة البابا إلى جهاز منظم ومدرب بالتحديد على مهمات التبشير وهي الميزة التي تمتع بها الأخويتان الفرنسييسكان والدومنيكان، وقد أوضحت الوثائق التي أوردها الباحث أن هؤلاء الرهبان كان لهم نشاط واسع طوال القرن الأول من الحروب الصليبية^(٤٣). وأن الوثائق التي رجع إليها الباحث تثبت بما لا يدع مجالاً للشك من أن الفرنسييسكان والدومنيكان كانتا الأداة الإعلامية

الضاربة لبابا روما فى جهوده الحثيثة، ليس فقط للتبشير بالحروب الصليبية والتحريض عليها وإنما كذلك لتأكيد سيادة البابوية فى المستويات السياسية المختلفة^(٤٤).

وأخيراً وجد نداء البابا ودعائه أذنأ صاغية لدى كل طبقات المجتمع الأوروبى آنذاك، ثم حمل الأوربيون جميعاً شعار الصليب فكان هذا الشعار العلامة الوحيدة التى تشير لتوحدهم والذي لم يكن موجوداً فى حقيقة الأمر. والبابا لى يبرر سلوكياته الاعتدائية والاستعمارية أخذ يفسر النصوص الدينية المسيحية ليوافق عدالة الحرب ومشروعيتها فيدعى أنها من أجل الدفاع عن النفس واسترجاع حق مغتصب، رغم عدم وجود نص مسيحى يشير إلى ملكية القدس لغير أهلها وأصحابها الذين هم فيها مسلمين ومسيحيين^(٤٥).

ثبت تاريخياً أن المسيحيين فى بيت المقدس عاشوا فى كنف الدولة الإسلامية عيشة هادئة، وقد شهد أحد قادة المسيحيين وهو ثيودسيوس بطريق بيت المقدس، (أيام حكم السلاجقة) على حسن معاملة المسلمين لهم فى بيت المقدس فى رسالة إلى زميله حناثيوس بطريق القسطنطينية إمتدح فيها المسلمين وأثنى على قلوبهم الرحيمة وتسامحهم المطلق قال فى رسالته: (إن المسلمين قوم عادلون ونحن لا نلقى منهم أى أذى أو تعنت)^(٤٦).

نستخلص مما سبق ذكره أن الباعث الدينى كان له أثر كبير فى تحريك الحروب الصليبية، ولكن يجب أن نلاحظ أن ادعاء الصليبيين بأن هناك اضطهاد فريد وعظيم ضد المسيحيين فى بلاد المسلمين وخاصة القدس ادعاء باطل، وأن ادعاء المسيحيين بأنهم جاؤا للمشرق الإسلامى لأجل إنقاذ إخوانهم فى الدين فأمر غير صحيح، لأنه ثبت جلياً أن الذين جاؤا إلى المشرق واشتركوا فى الحملات الصليبية لم يكن يهمهم أمر إخوانهم المسيحيين، ولم يكن مجيئهم بدافع التقوى والورع كما زعموا، وإنما هجروا الأوطان والأهل فى سبيل تحقيق رسالة دينية سامية، وإنما عرضوا عن الدنيا ومتاعها لأجل غرض واحد هو خدمة الصليب.

إذن هناك أسباب أخرى كثيرة دفعت بهم إلى المشرق الإسلامى، فقد أجمع كل الذين عالجوا أحداث الحروب الصليبية بأن غالبية الذين اشتركوا فى الحملات

الصليبية تركوا أوطانهم لأسباب غير الحماس الديني. ولكن هذا كله لا يمنع أن تؤكد أن من الأسباب القوية للحروب الصليبية الهدف الديني، ونقصد بذلك القضاء على الدين الإسلامي الذي أخذ يهدد في اعتقادهم الدين المسيحي ونفوذ البابوية التي غدت قوة عظيمة في أوروبا الغربية قبيل الحروب الصليبية تسعى لفرض وجودها وتحقيق طموحاتها في السيطرة والحكم على كافة المسيحيين في أوروبا، وقد نادى البابا جويجورى السابع بضرورة إنشاء قوة حربية خاصة خاضعة لسلطان الكنيسة الكاثوليكية.

الباعث الاقتصادي:

من أهم الأسباب التي دفعت الأوروبيين لغزو العالم الإسلامي العربي العامل والباعث الاقتصادي، إذ لا يشك أحد في أهمية الباعث الإقتصادي في تحريك الشعوب نحو الغزو والسلب والهجرة وترك الأوطان، ورغم وجود بواعث أخرى كثيرة للحروب الصليبية إلا أننا نؤكد أهمية الباعث الإقتصادي، فقد أثبت جميع من تناول تاريخ أوروبا قبيل الحروب الصليبية أن غرب أوروبا كانت تعاني من مجاعة شاملة وخاصة فرنسا^(٤٧).

قبل دعوة البابا للحملة الصليبية الأولى كانت أوروبا الغربية في وضع إقتصادي سيئ فقد قلت الغلال وارتفعت أثمانها ارتفاعاً كبيراً خاصة في فرنسا مما نتج عنه حدوث أزمة في الخبز وهذا يفسر لنا كثرة الفرنسيين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، وهذه الأزمة الاقتصادية جعلت الكثير من سكان غرب أوروبا يكلون الأعشاب والحشائش، ثم زاد الأمر سوء الحروب المحلية الدائرة بين أمراء الإقطاع، تلك الحروب التي لم تنجح الكنيسة ولا الملوك في إيقافها، وترتب على هذه الأوضاع أن لحق الضرر بالتجارة وطرقها والزراعة وحقوقها ضرراً بالغاً، وهم في هذه الحالة جاءت الدعوة للحملة الصليبية الأولى لتفتح أمام هؤلاء الجوعى في غرب أوروبا طريقاً للهجرة والخلص من الجوع والأوضاع الاقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها داخل أوطانهم، لذلك نجد أن دعاة الحروب الصليبية وعلى رأسهم البابا أشاروا لهؤلاء الجوعى من الأوروبيين إلى ما في المشرق الإسلامي من كنوز مدفونة وعسل وخبز كثير، وممالك عظيمة وتجارة رائجة تنتظرهم. ولذلك كله لم يكن عجباً أن ضمت

الحملة الصليبية الأولى جموعاً غفيرة من المعدمين والفقراء والمساكين وطريدي القانون وجميعهم كانوا يفكرون في بطونهم قبل دينهم، ولعل الدليل على ذلك تصرفات هؤلاء الغزاة أثناء الحملات الصليبية، فقد عمدوا إلى العدوان والسلب والنهب ضد الشعوب المسيحية التي عبروا بأراضيهم مما تتعارض مع أي وازع ديني، ولعل الحملة الصليبية الرابعة خير دليل على ذلك.

أما ما نلاحظه من حماس كبير من بعض المدن التجارية الإيطالية وغيرها مثل جنوة والبندقية وبيزا وبرشلونة، فقد كانوا يبذلون الأموال والسلاح والسفن لتشجيع الحرب فكان دافعهم إلى ذلك كله الرغبة في امتلاك بعض الموانئ على الساحل الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط لتكون مركزاً لتجارتهن حتى تتصل التجارة بين أوروبا والشرق، ويؤكد ذلك أن المدن الإيطالية البحرية وغيرها لم تكن تقدم هذه المساعدات بوازع ديني وإنما جرياً وراء مصالحها الاقتصادية الخاصة، فقد رأت في الحروب الصليبية فرصة كبيرة يجب استغلالها لتحقيق أكبر قسط من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعاً، ولم تقدم مساعداتها إكراماً للكنيسة أو إبتغاء مرضاة الله وإنما مقابل مصلحة ذاتية، وهي المعاهدات التي عقدها مع القوى الصليبية بالشام حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية هامة (٤٨).

والمثال على ذلك أن مدينة مرسيليا بجنوب فرنسا حذت حذو المدن الإيطالية فقدمت خدماتها للصليبيين فتحصلت على امتيازات كبيرة لتجارها في العديد من المدن الصليبية في الشام، فقد منح بلدوين الثاني ملك بيت المقدس تجار مرسيليا حياً خاصاً بهم في مدينة القدس، ثم جاء الملك فولك فأعفاهم من الضرائب ثم جاء بلدوين الثالث سنة ١١٥٢م فمنحهم امتيازات وإعفاءات من الضرائب في كافة الموانئ الصليبية في فلسطين.

وهكذا تأكد لنا أن الحركة الصليبية، اصطبغت في أول أمرها بالصبغة الاقتصادية الاستغلالية بصورة واضحة، فأغلب الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى لم يشتركوا لخدمة الصليب أو الدين وإنما اشتركوا جرياً وراء المال وجمع الثروات أو إقامة المستعمرات ومراكز ثابتة لهم في قلب الوطن العربي والإسلامي بغية استغلال موارده والمتاجرة فيها.

الباعث الاجتماعي:

سبقت الإشارة إلى أن النظام الإقطاعي كان سائداً في غرب أوروبا قبل الحروب الصليبية، وكانت العلاقات بين أمراء الإقطاع سيئة بل ساءت حتى قامت الحروب بينهم، وكان التدمير سمة العصر ونتج عن هذه الأوضاع أن اتجه أمراء في غرب أوروبا نحو الشرق الإسلامي لتحقيق أغراض معينة منها:

١/ الحصول على أراضٍ جديدة في الشرق الإسلامي أكثر خصوبة وأحسن من أراضي غرب أوروبا التي خضبتها الدماء واستوطن بها شعب الحرب.

٢/ قوانين الوراثة الإقطاعية خلقت طائفة كبيرة من شباب الإقطاعيين بدون عمل وبدون مال وحجبهم من ميراث آبائهم نظام الميراث الذي ورثه الابن الأكبر دون الأبناء الصغار، فهؤلاء الشباب طمعوا في الثراء واقتناء الأملاك عن طريق النزوح إلى بلاد جديدة غير بلادهم^(٤٩).

أما طبقة الأبقان أو رقيق الأرض، فكانت طبقة تمثل الغالبية العظمى من سكان غرب أوروبا، فهؤلاء الفلاحون عاشوا عيشة قذرة بنوا منازلهم من جذوع الأشجار وفروعها، وكانوا مرتبطين ارتباطاً وراثياً بالأرض التي يعملون عليها، وقضوا حياتهم محرومين من أبسط مبادئ العدالة والحرية الشخصية، فكان كل ما يجمعه القن من ثروة يعتبر ملكاً للسيد الإقطاعي، فهو يباع ويشترى تبعاً للأرض، علت الدعوة للحروب الصليبية وهم على هذه الحالة فما كان من هذه الألف المظلومة إلا أن وجدت في الحرب فرصة لتغيير أحوالها رغم ما في الحرب من مخاطر، فكانوا يرون إن ماتوا في هذه الحروب فاموت أحب إليهم من حياة الجوع والذل والهوان والعبودية، وإن وصلوا الأراضي المقدسة سالمين فإن حياتهم الجديدة لن تكون أسوأ من حياتهم التي يحيونها في بلادهم الأصلية في غرب أوروبا زيادة على ما يجدون من أجر وحسن ثواب في الدنيا والآخرة^(٥٠).

مما سبق يبدو واضحاً أن أغلب أهل أوروبا اشتركوا في الحروب الصليبية بدافع العوامل الاجتماعية، فقد وجدوا في المشاركة في الحرب منفذاً لحياة أفضل. كذلك تشير إلى أنه لو تيسر لهذه الجموع في بلادهم الحياة الطيبة الكريمة الحرة أو قدر مناسب من كرامة العيش لما غامروا بترك أوطانهم جرياً وراء وعود خيالية صدرت من البابا.

الباعث السياسي:

من السابق وضع لنا أن الفاقة والحرمان والذل والهوان دفعت الغالبية العظمى من سكان غرب أوروبا إلى الاشتراك في الحروب الصليبية بحثاً عن حياة أفضل، ولكن هنالك عددٌ غير قليلٍ إشتراكوا في الحروب الصليبية لم يكونوا من طبقة المحرومين وهم الملوك والأمراء والفرسان فما دافعهم إلى المشاركة، كما أنهم لم يخرجوا من بلادهم إلا بعد تهديد وإلحاح البابوية عليهم.

فقد دأب البابا على إرسال السفارات العديدة من حين لآخر لهؤلاء الملوك والأمراء ليخرجوا على رأس جيوشهم إلى الشرق لمحاربة المسلمين وأخذ بيت المقدس من أيديهم، ونلاحظ أن قوة البابوية قبيل الحروب الصليبية كانت قوية في غرب أوروبا فلا يستطيع أي ملك أو أمير عصيان أمر البابا الذي كان يمكنه أن يهدده بقرار الحرمان، وهو سلاح يستخدمه ضد من لا يستجيب لدعوته بقيادة جيوشه: يشير أرنست باركر^(٥١)، إلى ذلك بقوله: «إن من الأمراء الذين انضموا للحملة الصليبية الأولى من أشتهروا بأنهم من السياسيين ولم يكونوا من المتحمسين للدين بل نزعوا إلى الحصول على كسب دنيوي إلى جانب الكسب الروحي، وهذا الطراز من الأمراء يمثلته بوهند الذي يصح اعتباره مصدر إلهام الأمراء ومثير همهم».

ثم الثابت تاريخياً أن كثيراً من الأمراء في أوروبا الغربية اشتتركوا في الحروب بغية تأسيس أمارات لهم في المشرق الإسلامي: إن هؤلاء لم يستطيعوا إخفاء أطماعهم السياسية قبل الوصول إلى الشام وإلى بيت المقدس وتحرير القدس كما يدعون ويزعمون^(٥٢). ويلاحظ أن أمراء الحملة الصليبية الأولى أخذوا يقسمون الغنائم وهم في طريقهم إلى الشام أي قبل أن يستولوا على الغنيم، فمثلاً تنازع القادة أمام أنطاكية لأن كل أمير كان يريد أن تكون أنطاكية من نصيبه، بل نجد بعضهم أن وجد مغنماً في الطريق اقتنع بذلك الكسب وتخلّى عن المشاركة مع إخوانه في التقدم إلى القدس وعاد إلى بلاده وترك الهدف الأساس للحملة كما يدعون^(٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦).

ونجد بعض الأمراء الصليبيين في الشام قد حاولوا التحالف مع المسلمين ضد أخوانهم الصليبيين على أمل أن يعودوا يبيعوا المكاسب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الوازع الديني عند هؤلاء الأمراء.

أما جماعة الفرسان فقد شاركوا في الحملات الصليبية لأجل إشباع نزعة الفروسية والحرب والقتل في نفوسهم، وأن حياة السلم تعنى العطالة عند هؤلاء

المحاربين المحترفين، فالحروب الصليبية فتحت أمام هؤلاء المحاربين باباً واسعاً لإظهار شجاعتهم والتعبير عن مواهبهم الحربية بغض النظر عما في المشاركة من غفران للذنوب.

ومجمل القول إن الدعوة للحروب الصليبية وغزو العالم الإسلامي صادفت هوى في نفوس الأوربيين جميعاً، فقد رحب بها المتدينون وأنس بها الأقنان لتحريرهم وطربت بها المدن التجارية الإيطالية وغيرها وتنفس المثقلون بالديون الصعداء، وصفق لها المجرومون لأنها حولت عقوبة الموت والقتل إلى الجهاد مدى الحياة في فلسطين، ورأى فيها المغامرون من تجار وأفاقين فرصة لكسب في أراضى الحليب والعسل.

للظروف والبواعث السابقة كلها، بدأت أحداث الحروب الصليبية التي أخذت شكل مجموعة من الحملات أولها سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٥ م، وقد نجحت هذه الحملة الأولى في إلحاق سلسلة من الهزائم بالسلاجقة في آسيا الصغرى، ثم زحفت جموع الصليبيين إلى بلاد الشام حيث نجحت في مواجهة القوات الإسلامية والانتصار عليها، فظهرت الإمارات الصليبية نتاج هذه الحملة، وأهم هذه الإمارات أمانة الرها وأنطاكية وبيت المقدس وأمانة طرابلس حسب ترتيب تكوينها.

وقد شكلت هذه الإمارات تهديداً كبيراً للوجود الإسلامي في المنطقة بأسرها، وبدأ الجهاد ضد هؤلاء الغزاة من المسلمين المخلصين وأستمر جهادهم قرنين من الزمان قدم المسلمون فيها الكثير من صور التضحية والفداء حتى طردوا هؤلاء الغزاة من ديار المسلمين.

ولعل اليوم مثل الأمس هذه أمريكا وحليفاتها تغزو العراق بنفس هذا الهدف زيادة على أنها تريد أن تظهر قوتها وإشباع غرورها والتأكد من فاعلية سلاحها، ولكن الله ليس بغافل عن الظالمين سيهزمون إن شاء الله.

الحروب الصليبية مستمرة إلى قيام الساعة والعداء بين اليهود والنصارى والمسلمين مستمر ولعل قول الله تعالى يشير إلى ذلك قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٠).

وقال تعالى: ﴿لَأَنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُكُمْ بِقِبْلَةِ بَعْضٍ وَلَئِنْ تَبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة الآية ١٤٥).

الهوامش:

- ١/ د. سعيد عبدالفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٩١م ج ١ ص ٤٦.
- 2/ Vasllier: His. de l'Emore By 2 antin, Tame 1 PP 82- 83.
- 3/ Cam. Med. Hiat. Bol.1.1. P. 119.
- Lot: The End of the Ancient world PP. 43 - 44.
- ٤/ د. عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ص ٥٩.
- الجرمان جماعات بربرية همجية سكنوا البلاد المحيطة ببحر البلطيق وعلى امتداد نهري الراين والوطن، ولظروف تركوا أوطانهم وغزو غرب أوروبا.
- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٧٨.
- Deansly: Ahist. od Early Med. Europe, P. 25.
- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى ج ٢، ص ٦٣ - ٧٣.
- تأثرت أوروبا الغربية بهذا النظام الإقطاعي من القبائل الجرمانية التي غزت أوروبا إذ كان النظام الاجتماعي المتبع عند هذه القبائل النظام الإقطاعي، ويتكون البناء الاجتماعي عند الجرمان من ثلاث طبقات طبقة النبلاء والأحرار والعبيد، والنبلاء يمثلون الطبقة المحاربة، وكان لكل أمير إقطاعي إقطاعية عبارة عن أرض واسعة فيها عمال يسمون بالقرن وهم رقيق الأرض يباعون ويشتررون تبعاً للأرض لا حرية لهم.
- للمزيد أنظر د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى ج ١، ص ٧٧ - ٩١.
- ٥/ د. عاشور: المرجع السابق ج ١، ص ٦٣ - ٧٠.
- ٦/ للمزيد أنظر المراجع التالية:
- أرنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز مطبعة دار النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٦٣م، ص ٦ - ٧.
- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ج ١، ص ٣٣٤ - ٣٤٩.
- Painter A Histry of the Middile East PP. 124 - 125, Com. Med. Hist. Vol. 3 P 454.
- ٧/ جيب: تراث الإسلام، ص ١٨٩ - ١٩٠.
- ٨/ ترند: تراث الإسلام، ص ٥٥.
- ٩/ د. سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة

الأوربية.

- ١٠ / نفس المرجع، ص ٩١ - ٩٦، مطبعة دار النهضة العربية سنة ١٩٦٣ م
- ١١ / د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى ج ٢ ص ٧٠.
- ١٢ / الكرادلة هم أساقفة روما وتوابعها ويأتون بعد البابا في الأهمية والمكانة والنفوذ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، ج ٢، ص ١٩.
- ١٣ / المصدر نفسه والصفحة.
- ١٤ / الطبري: تاريخ الرسل والملوك: مطبعة دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٦١ م، ج ٧، ص ٤٢٤.
- ١٥ / أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: مطبعة دار الكتب لبنان بيروت بدون تاريخ ص ٩٩ - ١٠٠.
- الهمداني: جامع التواريخ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية مصر، سنة ١٩٦٠ م، ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٩٦.
- ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، مطبعة البابي الحلبي مصر سنة ١٩٣٩ م، ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨٢.
- ١٦ / الأمثلة على هذا التفكك في المغرب نجد الدولة الأموية في الأندلس ودولة الأغالبة في المغرب الأوسط، والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى، وبولتي الخوارج الصفارية والرستمية في المغرب الأوسط، ثم الدولة الفاطمية في المغرب ثم مصر والشام ثم الدولة الحمدانية في الشام ودولة بنى عقيل في الموصل. وفي المشرق الدولة الظاهرية، والصفارية في فارس والدولة السامانية ثم الغزنوية في الهند وبلاد ما وراء النهر.
- ١٧ / المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط بيروت، ج ٣ ص ٤٦٠.
- والسيوطي، تاريخ الخلفاء، طبعة بيروت، ص ٢١٠.
- ١٨ / المسعودي، مصدر سابق ج ٢ ص ٤٦٥ - ٤٦٦.
- ١٩ / ابن خلكان: وفيات الأعيان (مكتبة النهضة طبعة سنة ١٩٤٩ م ج ١، ص ١٧٥.
- ٢٠ / ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة السعادة القاهرة - سنة ١٩٣٢ م، ج ٢، ص ٦٢.
- ٢١ / ابن الأثير: الكامل في التاريخ (طبعة الاستقامة، القاهرة) ج ٢، ص ٢٢٨.
- ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ١، ص ٣٥٥.
- ٢٢ / البساسيري: هو أرسلان بن عبدالله أبو الحارث البساسيري قائد تركي

الأصل كان من ممالك بني بويه وخدم القائم العباسي حتى قدمه على جميع الأتراك في بغداد وقلده الأمور بأسرها.

ابن بردى: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢، ص ٦٤.

ابن الأثير: اللباب ج ١، ص ١٢١.

ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١، ص ١٧٢: طبعة مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٤٩م.

٢٣/ ابن الأثير: الكامل: ج ٩، ص ٢٣٧.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٤ - ١٨٥.

٢٤/ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ١١.

الدكتور/ حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ٧٢. مطبعة الإرشاد: بغداد سنة ١٩٦٥م

٢٥/ الدكتور. خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ص ٢٢٢.

طبعة وزارة التعليم العالي جامعة الموصل سنة ١٩٨٨م

٢٦/ د. عبد المنعم محمد حسين: دولة السلاجقة ص ٤٩، مطبعة مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٥م.

د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٥٨٦. مطبعة دار الفكر العربي القاهرة.

٢٧/ ملاذكرت أو مانزكرت، مدينة أرمينية تقع إلى الشمال من بحيرة فان
Ldom. tome. P. 469. Van.

٢٨/ د. عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق ص ٥١.

د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم: المرجع السابق ص ٥٨٨.

د. حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص ٧٤.

٢٩/ الراندي: راحة الصدور، ص ١٨٩.

ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٠٩ - ١١٠.

ابن القلائس: ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٩ - ١٠٥.

البنداري: زبدة النصر، ص ٣٨ - ٤٤.

أرنست باركر: الحروب الصليبية، ص ١٨.

٣٠/ ابن الأثير: المصدر السابق ج ١٠، ص ٢٤ - ٢٥.

٣١/ د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج ١، ص ٤٣٣ - ٤٣٩.

د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٥٨٩.

٣٢/ نفس المصدران السابقان والصفحات.

٣٣/ الاتابكيات لقب يطلق على القواد أو الولاة الذين أسسوا تلك الإمارات: والمعنى الحرفي للفظ الأتابك الوالد الأمير ولكن مدلوله التاريخي والحقيقي الأمير العربي، فالأمراء الذين تمتعوا بهذا اللقب لم يكونوا حقيقة أباء للأمراء الذين يشرفون على تربيتهم وتوجيههم من أبناء السلاطين السلاجقة الصغار وهو بصفة عامة لقب تشريفي لهم. فعندما ضعفت سلطات سلاطين الدولة السلجوقية وتمزقت هذه الدولة الواسعة استغل كثير من هؤلاء الأتابك بحكم تلك الأقاليم التي منحت لهم إكراميات، فكانت الأتابكية نسبة لهم منها أتابكية الموصل ذات الدور الكبير في الحروب الصليبية.

د. سيد رضوان على ود. حامد غنيم أبو سعيد: دول العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ١٥٦.

٣٤/ د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم: المرجع السابق ص ٩٢٢.

٣٥/ الواقدي: فتوح الشام ص ١٤٣.

البلاذري: فتوح البلدان ص ١٤٤.

٣٦/ ابن خرداذبة: الممالك والممالك ص ١٥.

ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٢٧٠.

٣٧/ ستيفن رنيمان: تاريخ الحروب الصليبية (مغرب رقم ١) ص ١٦٨ وبعدها.

د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى ج ١، ص ٤٣٦.

Tout: The Empire the pepaoy. P. 175.

أرنست باركر: الحروب الصليبية (ترجمة د. السيد الباز العريفي نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ص ٢٠).

٣٨/ د. سعيد عبد الفتاح: المرجع السابق ج ١ ص ٤٣٦.

أرنست باركر: المرجع السابق، ص ٢٠.

٣٩/ وليم لانجر: موسوعة تاريخ العالم العربي، ج ٢ ص ٤٨٩ - ٤٩٣.

د. سعيد عبد الفتاح: المرجع السابق، ج ١ ص ٤٤٠.

- فليب حنا ورفاقه: تاريخ العرب، ج ٣، ص ٧٥٢.
- د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم: المرجع السابق ص ٦٠٦.
- ٤٠/ أرنست باركر: المرجع السابق ص ٩.
- ٤١/ د. سعيد عبد الفتاح: المرجع السابق، ج ١ ص ٤٣٨.
- أرنست باركر: المرجع السابق ص ٩.
- ٤٢/ من أعمال فرنسا الجنوبية.
- د. حسن أحمد محمود والدكتور أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق ص ٦٠٦.
- ٤٣/ أنظر حاشية رقم ٤٤ ص ٢٧٢ من كتاب الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي للدكتور خليل إبراهيم وآخرين، يذكر أربعة نصوص مختلفة لخطاب البابا أوربان الثاني في كلير مونت.
- ٤٤/ بطرس الناسك راهب فرنسي ولد بضاحية أميان شمالي باريس، كان حاكماً على المسلمين، زار بيت المقدس وعند عودته قابل البابا أوربان الثاني وقص عليه كذباً اضطهاد المسلمين للمسيحيين في القدس، ثم التمس من البابا العمل على تخليص أرض المسيح من المسلمين، ثم أخذ إذن البابا بالطواف في طرقات أوروبا راكباً دابته وقابضاً الصليب بيده منادياً بحق الصليب في الطرقات والأزقة والكنائس والاديرة شارحاً ما يقاسيه المسيحيون في المشرق من اضطهاد فريد.
- أنظر: محمد علي الفتيت: الشرق والغرب الرحلة الأولى ص ٢٦، وستيفن دونسيومان تاريخ الحروب الصليبية رقم ١ ص ١٦٩ مغرب. ود. حسن أحمد محمود، ود. أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص ٦٠٦.
- وأرنست باركر: الحروب الصليبية، مترجم ص ٢٧.
- ٤٥/ د. سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (النظم الحضارية) ج ٢، ص ٤١ - ٤٢.
- ٤٦/ كريستوف ماير: الدعوة للحروب الصليبية: مقال منشور في مجلة ٩٩.
- ٤٧/ نفس المرجع، ص ٢١١.
- ٤٨/ الدكتور خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٣٩٠.
- ٤٩/ الدكتور حسن أحمد محمود والدكتور أحمد إبراهيم، المرجع السابق ص ٦٠٨.
٦٠٨. الدكتور خليل إبراهيم وآخرون، المرجع السابق ص ٣٩٥.

- ٥٠/ فيشره: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج١، ص ١٤٢ - ١٤٦.
- محمد مصطفى زيان، والسيد الباز، دار المعارف، مصر سنة ١٩٥٧ م.
- أرنست باركر: الحروب الصليبية، ص ٩.
- 51/ E. Mnuer: The Crommdes, p. p 22 - 23.
- د. سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج١، ص ٢٤.
- ٥٢/ الدكتور خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٣٩.
- W. B. strenson The Crusader, p.p 5-6.
- الدكتور سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية ج١، ص ٣٤.
- 52/ B Y J/ Cuning ham p.p 22- 24.
- د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ج٥، ص ٥٧٨.
- ٥٣/ الدكتور سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية ج١، ص ٣٧ - ٤٠.
- W. B. strenson The Crusader in The East. p.5.
- ٥٤/ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور السيد الباز العريفي ص ٢١ الى ص ٢٨
- ٥٥/ المرجع نفسه، ص ٢١ و ص ٢٢.
- ٥٦/ المرجع نفسه، ص ٣١ و ص ٣٢.